مجلة آفاق علمية ISSN: 1112-9336
المجلد: 14 العدد: 01 السنة 2022 ص 322 - 341

تاريخ الإرسال: 2020/09/26 تاريخ القبول: 2022/01/18
تاريخ النشر: 2022/03/17

نظرية الأفعال الكلامية بين جون أوستين وأبي يعقوب السكاكي
the theory of speech verbs Between John Austin and Abu yaqub al-Sakaki

مطاوي نجاة [1]. د. بن زحاف يوسف[2]
جامعة أحمد زبانة (غليزان)، [1]metaouinadjet@gmail.com
جامعة أحمد زبانة (غليزان)، [2]y.benzahaf@gmail.com

الملخص:

تهدف هذه الورقة البحثية إلى دراسة طرق الإفهام التي من شأنها تسهيل عملية التواصل وبطريقة إنتاج الفعل التواصلي والفعل الكلامي في إطار موقف كلامي ملموس ومحدد مع مراعاة حال السامع أثناء الخطاب، كما تهتم بالظروف والأحوال الخارجية المحيطة بالعملية التواصلية ضمانا لتحقيق التواصل من جهة ولتستغلها في الوصول إلى غرض المتكلم وقصده من كلامه من جهة أخرى .

الكلمات المفتاحية: تداولية، أفعال الكلام ، خبر، إنشاء.

Abstract:

The purpose of this paper is to study the ways of understanding that facilitate the process of communication and manner of producing the communicative and speech acts within the framework of a concrete and specific communicative situation , taking into account the status of the hearer in the discourse . It also takes into account the external circumstances surroundingthe interactive process to realize the communication on the one hand , and to reach the purpose of the speaker on the other hand

Keywords: pragmatics , speech acts , experimental and structural styles

المؤلف المرسل: مطاوي نجاة ، الإيميل : metaouinadjet@gmail.com

1.مقدمة:

تعد التداولية مبحثا من مباحث الدراسات اللسانية الحديثة، التي تطورت خلال النصف الثاني من القرن العشرين، وقد ظهرت في الولايات المتحدة الأمريكية وإنجلترا في مرحلة أولى، وقامت على أنقاض المدرسة البنيوية ممثلة في رائد الدرس اللساني الحديث فرديناند دي سوسير من جهة ، والمدرسة العقلية ممثلة في التيار التوليدي التحويلي برائده نعوم تشومسكي من جهة أخرى.

يهتم هذا المقال بدراسة طرائق الإفهام، التي من شأنها تسهيل عملية التواصل وبطرائق إنتاج الفعل التواصلي، أو الفعل الكلامي في إطار موقف كلامي ملموس ومحدد مع مراعاة حال السامع أثناء الخطاب كما يهتم بالظروف والأحوال الخارجية المحيطة بالعملية التواصلية ضمانا لتحقيق التواصل من جهة، ولتستغلها في الوصول إلى غرض المتكلم وقصده من كلامه من جهة أخرى.

وفي هذا الإطار يندرج اهتمامنا حول نظرية الأفعال الكلامية التي تعد أهم ركن في اللسانيات التداولية، حيث إن دراسة هذه الأفعال وما يفعله المتكلمون باللغة من تأثير وتبليغ وإنجاز، مما لا غنى لأي دارس.

ومما لا ريب فيه أن النظرية التداولية نظرية حديثة النشأة، قديمة الجذور حيث نجد لها تمظهرات ضاربة في عمق التراث العربي؛ ومن هنا تتبادر إلى أذهاننا طرح الإشكالية الآتية: كيف تتمظهر هذه النظرية في التراث البلاغي القديم؟ وخاصة مؤلف " مفتاح العلوم " للبلاغي أبي يعقوب السكاكي، باعتباره من أهم العلماء الذين قاموا بجمع ومدارسة التراث البلاغي السابق عليه وانكب عليه بالترتيب والتبويب

والتصنيف، فكان كتابه الكبير مفتاح العلوم دليلا على ذلك، فكيف تتجلى نظرية الأفعال الكلامية بين جون أوستين وأبي يعقوب السكاكي؟ هذا ما تحاول هذه الورقة البحثية أن تجيب عنه.

2. مفهوم التداولية :

يعد مفهوم التداولية من أهم المفاهيم الحديثة التي شدت انتباه الدارسين والباحثين مما أدى إلى كثرة تعاريفها بسبب تخصصات أصحابها ومجالات اهتمامهم ، ومع هذا يمكن أن نجملها فيما يلي :

– " التداولية هي مجموعة من البحوث المنطقية اللسانية ، وهي كذلك الدراسة التي تعنى باستعمال اللغة ، وتهتم بقضية التلاؤم بين التعابير الرمزية والسياقات المرجعية والمقامية والحدثية والبشرية "[1].

– " هي دراسة اللغة في الاستعمال in use أو في التواصل in interaction لأنه يشير إلى المعنى ليس شيئا متأصلا في الكلمات وحدها ، ولا يرتبط بالمتكلم وحده ، ولا السامع وحده فصناعة المعنى تتمثل في تداول negotiation اللغة بين المتكلم والسامع في سياق محدد (مادي و اجتماعي و لغوي) وصولا إلى المعنى الكامن في كلام ما "[2].

– أما عند العرب نجد الباحث المغربي طه عبد الرحمان يعرفها كما يلي :" التداولية عندنا متى تعلق بالممارسة التراثية ، هو وصف لكل ماكان مظهرا من مظاهر التواصل والتفاعل بين صانعي التراث من عامة الناس وخاصتهم كما أن المجال في سياق هذه الممارسة هو وصف لكل ما كان نطاقا مكانيا وزمانيا لحصول التواصل والتفاعل فالمقصود " بمجال التداول " في التجربة التراثية هو إذن محل التواصل والتفاعل بين صانعي التراث "[3]. فالتداولية إذن هي دراسة اللغة أثناء الاستعمال واستخدامها في سياق الخطاب ، فتقوم بمراعاة كل مايحيط بالعملية

التواصلية للوصول إلى المعنى الحقيقي مما ينجم عنه الأثار المناسبة التي قصدها المتكلم ، فتراعي بذلك قصد المتكلم ونواياه وحال السامع والظروف المحيطة به كما تسعى إلى الحفاظ على سلامة الحوار بين المتخاطبين لضمان العملية التواصلية .

3. جون أوستين (John Austin) وجهوده في نظرية الأفعال الكلامية :

تعتبر نظرية الأفعال الكلامية الركيزة الأساسية التي قام عليها الاتجاه التداولي بل تعد من أهم نظرياته ، فماذا نقصد بهذا المصطلح ؟

وللإجابة على هذا السؤال وجب علينا الرجوع إلى الباحث مسعود صحرواي حيث أجاب عليه في قوله : " بالرجوع إلى ما كتبه الفيلسوفان "ج.ل.أوستين" وتلميذه "ج.سيرل" حول هذا المفهوم اللساني التداولي الجديد ، فإن "الفعل الكلامي" يعني : التصرف (أو العمل !) الاجتماعي أو المؤسساتي الذي ينجزه الإنسان بالكلام ، ومن ثم فالفعل الكلامي يراد به الإنجاز الذي يؤديه المتكلم بمجرد تلفظه بملفوظات معينة ، ومن أمثلته : الأمر ، والنهي ، والوعد ، والسؤال ، والتعيين والإقالة ، والتعزية ، والتهنئة ... فهذه كلها أفعال كلامية "[4]، فالفعل الكلامي هو عبارة عن إنجاز ذو طابع اجتماعي يتحقق في الواقع بمجرد التلفظ به ، وذلك لتحقيق التواصل ، ومنه التأثير في السامع أو العالم الخارجي بصفة عامة .

ويعرف جون أوستين الفعل الكلامي في كتابه نظرية أفعال الكلام العامة بقوله: " الفعل الكلامي هو النطق ببعض الألفاظ أوالكلمات أي إحداث أصوات على أنحاء مخصوصة، متصلة على نحو ما بمعجم معين ومرتبطة به ومتمشية معه وخاضعة لنظامه مثل: "إن القطة توجد فوق الوسادة" فهو يخبر فعل كلامي "[5]، لقد مرت نظرية " أوستين Austin " بثلاث مراحل نوجزها فيما يأتي :

1.3.المرحلة الأولى : حاول "أوستين Austin" في هذه المرحلة التمييز بين نوعين من الأفعال :

1.1.3.أفعال إخبارية (constative) :

هي " أفعال تصف وقائع العالم الخارجي، وتكون صادقة أو كاذبة "[6] فكل الأقوال التي تقوم بوصف حالة معينة لشيء أو لشخص ما وتكون صادقة أو كاذبة فتسمى أقوال وصفية ، إلا أنه نجد أوستين يفضل تسميتها بالخبرية ، ويتجلى ذلك في قوله " إن مصطلح الوصف هذا ليس هو بأفضل تسمية ، إذ لهذا اللفظ ذاته معنى مخصوص ، ثم إن جميع القضايا الصادقة منها والكاذبة ليست كلها دالة على الوصف ، ولهذا السبب عدلت عن لفظ الوصف واخترت بدله استعمال لفظ خبرية constative "[7].

2.1.3.أفعال أدائية إنجازية (Performative) :

وتدل على أن إحداث التلفظ هو إنجاز للفعل ، وإنشاء لحدث [8] ، فاختلف أوستين في تمييزه لهذا النوع من الأقوال بعدم ارتباطه بالصدق والكذب على عكس النوع الأول ، فحين ينطق شخص ما جملة معينة فهو ينجز وينشأ فعلا معينا ويمكن الحكم عليه لبداهته ، إذ يقول أوستين " إن النطق بالجملة هو إنجازها وإنشاؤها ثم ، والعبارات المتلفظ بها لا تدل على شيء من التصديق ولا على التكذيب بل يجب الحكم عليه لبداهته ووضوحه ولا فائدة من إيراد الحجة عليه " [9]، إلى جانب هذا ربط نجاحها بشروط فإذا لم تتحقق لا تكون موفقة، وقسم هذه الشروط إلى تكوينية وقياسية .

فأما **الشروط التكوينية** فهي: وجود إجراء عرفي conventional procedure مقبول وله أثر عرفي معين، وأن يتضمن الإجراء نطق كلمات محددة ينطق بها أناس معينون في ظروف معينة، وأن يكون الناس مؤهلين لتنفيذ هذا الإجراء، وكذلك أن يكون التنفيذ صحيحا وكاملا [10] .

وأما **الشروط القياسية** فهي: أن يكون المشارك في الإجراء صادقا في أفكاره وفي مشاعرها وفي نواياه، وأن يلتزم بما يلزم نفسه به [11]، وقد اعتبر أوستين الشروط الأولى مهمة مقارنة بالشروط الثانية ، ذلك أن الأولى إذا تحققت كانت فعلا إنجازيا ناجحا وموفقا ، وإذا لم تتحقق كان ذلك إخفاقا للفعل وفشله ، أما الثانية فهي ليست ضرورية لأداء الفعل ، ولكن إذا توفرت أصبح الفعل الإنجازي كاملا غير معيب .

2.3. المرحلة الثانية : في هذه المرحلة حاول " أوستين Austin" إعادة تقسيم الفعل الكلامي من البداية ، وقسمه على النحو الآتي :

1.2.3.فعل القول أو الفعل اللّغوي : Acte Locutoire :

ويراد به إطلاق الألفاظ في جمل مفيدة ذات بناء نحوي سليم مع تحديد ما لها من معنى Sense ومشار إليه Référence [12]، ويتضمن هذا النوع ثلاث أفعال فرعية **"الفعل الصوتي** وهو التلفظ بسلسلة من الأصوات المنتمية إلى لغة معينة ، **الفعل التركيبي** يؤلف مفردات طبقا لقواعد لغة معينة ، **الفعل الدلالي** هو توظيف هذه الأفعال حسب معان وإحالات محددة **"**[13] فهذه الأفعال الفرعية الثلاثة مرتبطة ببعض ، فمثلا عندما ينتج المتكلم أصوات بلغة معينة ومركبة وفق نظام نحوي معين وتكون ذات معنى ومرجع يقصد المتكلم إنجازها ، فإذا تحققت هذه المراحل تحقق فعل القول .

2.2.3. الفعل المتضمن في القول: Acte illocutoire :

وهو"الفعل الإنجازي الحقيقي إذ أنه عمل ينجز بقول ما [14]، وقد ربط أوستين نظريته بهذا النوع من الأفعال ، والفرق الذي نلاحظه بين الفعل الأول (فعل القول) والفعل الثاني (الفعل المتضمن في القول) هو أن الأول هو عبارة عن نطق أو قول شيء ما إلى جانب اشتماله على قواعد النحو وتحديد المعنى والمرجع المشار إليه ، أما الثاني فيتمثل في القيام بفعل ضمن قول أمر ما . إلى جانب ذلك اشتماله على

أمر زائد وهو " القوة Force التي للقول فيقال للجملة " إنها ستمطر " في موضع ما أن لها قوة الخبر، وفي موضع آخر أن له قوة التحذير ، وفي غيره أن لها قوة الأمر ... إلخ "[15]، فإدراج أوستين مصطلح القوة في هذا النوع من الأفعال يكسبها وظائف متنوعة بحسب مقاصد المتكلم والسياقات التي يرد فيها ، وإلى جانب هاذين النوعين هناك فعل آخر مرتبط بهما ويتمثل في الأثر الذي يحدثه المتكلم بعد إصدار فعل القول وإنجازه له في المتلقي .

3.2.3.الفعل الناتج عن القول Acte perlocutoire :

ويرى أوستين " أنه مع القيام بفعل القول وما يصحبه من الفعل المتضمن في القول قد يكون الفاعل قائما بفعل ثالث هو السبب في نشوء آثار في المشاعر والفكر، ومن أمثلته: الإقناع، التضليل والإرشاد ..."[16]، ويرى "أوستين Austin" أنه " لكي ننجز فعل الكلام ، وبالتالي قوة فعل الكلام لابد أيضا من أن ننجز نوعا آخر من الأفعال . فأن نقول شيئا ما قد يترتب عليه أحيانا أو في العادة حدوث بعض الآثار على إحساسات المخاطب وأفكاره أو تصرفاته ، كم يستلزم ذلك لوازم ونتائج قريبة تؤثر على المتكلم وغيره من الأشخاص الآخرين ... وإنجاز فعل من هذا النوع يمكن أن نسميه بإنجاز ما ترتب عن فعل الكلام وما لزم عنه ، وهو بالضبط مصطلحنا (لازم فعل الكلام Perlocutionary) "[17]. فأوستين من خلال هذا الطرح يبين لنا الآثار الناجمة عن الفعل الكلامي ونوعها حسب قصد المتكلم . ومن أمثلة تلك الآثار : الإقناع ، التضليل ، الإرشاد ، التثبيط ... إلخ[18].

ونتيجة لهذا ككل نلاحظ أن الفعل الكلامي الكامل يتكون من ثلاث أفعال فرعية سنوضحها من خلال مثال ، كقولنا : السماء غائمة. ففعل القول هو تركيبة هذه الجملة من حيث هي أصوات مركبة تركيبا نحويا، أما الفعل المتضمن في القول ويتمثل في إنجاز المتكلم وقصده من هذا القول، أي التحذير من سقوط المطر، أما

الفعل الناتج عن القول هو الأثر الذي خلفه من إنجازه للقول ، ويتعلق بأخذ الحيطة بأخذ المظلة أثناء الخروج من البيت، أو الدخول إلى البيت قبل تساقط الأمطار . بالإضافة إلى ذلك هناك بعض الأفعال الإنجازية التي لاتؤثر في المتلقى على حسب قول أوستين " كعبارة : " أسمي هذه السفينة الملكة إليزابيث " يكون أثرها هو التسمية أو إطلاق هذا اللفظ عليها "[19].

3.3.المرحلة الثالثة : لقد لاحظ "أوستين Austin" من خلال تقسيمه الثلاثي للفعل الكلامي أن الفعل الثاني أي الفعل الإنجازي (الفعل المتضمن في القول) هو موضوع البحث الأساسي ،حيث قام في "المحاضرة الأخيرة (الثانية عشرة) بتقديم تصنيف للأفعال الكلامية على أساس ما أسماه "قوتها الإنجازية illocutionary force" فجعلها خمسة أصناف لكنه لم يتردد في القول بأنه غير راض عن هذا التصنيف"[20]

1.3.3.أفعال الأحكام أو (القرارات التشريعية)Verdictives :

هي" إصدار حكم حول شيء ما واقعيا كان أم قيمة ولكن الشيء المحكوم فيه قد يكون لأسباب مختلفة غير متأكدة تمام التأكيد "[21]. وتتمثل في الحكم نحو التبرئة، الفهم، إصدار أمر، التوقع، التقويم، التشخيص، الوصف، التحليل ، ...[22].

2.3.3.أفعال القرارات أو (الممارسات التشريعية) Exercitives :

وهي" تتعلق بممارسة السلطة والقانون والنفوذ، وأمثلة ذلك التعيين في المناصب والانتخابات وإصدار الأوامر التفسيرية في المذكرات، وإعطاء التوجيهات التنفيذية القريبة من النصح والتحذير وغيرهما "[23] ومن أمثلته: " أوظف ، أحذر ، ألغي ، أصفح ، أتوسل ، أوجه ، أمنح ، أدافع ، أوصي ، أحث ، أرفض...إلخ "[24].

3.3.3.أفعال التعهد(ضروب الإباحة) Commissives :

هي " إعطاء الوعد والتكفل والضمان ، والتعهد وفي كل هذا يلتزم الإنسان أن يفعل شيئا ما ، وقد يندرج في هذا الباب التصريح وإعلان النية والقصد "[25]. ومن أمثلته : " أعد ، أتعهد ، أتعاقد على ، أضمن ، أقسم على ، أقبل ... إلخ "[26].

4.3.3.أفعال السلوك(الأوضاع السلوكية) Behabitives:

وهي" ترتبط بافصاحات عن حالات نفسية تجاه ما يحدث للآخرين أو بالسلوك الاجتماعي ، ومن أمثلتها: أعتذر، شكر، هنأ، عزّى، انتقد، مدح، وبّخ، ودّع، بارك... "[27].

5.3.3.أفعال الإيضاح (الإثباتات الموصوفة المفسرة) Expositives :

وهذه أصعبها تعريفا " ولكنها تبين كيف أن العبارات المتلفظ بها تجري مجرى الاحتجاج والنقاش كما تكشف كيف أننا نستخدم الألفاظ وبوجه عام " [28]، كما تستخدم هذه الأفعال " لتوضيح وجهة النظر أو بيان الرأي وذكر الحجة ، مثل : الإثبات ، الإنكار ، المطابقة ، والملاحظة والتنويه ، الإجابة ، والاعتراض ، الاستفهام ، التشكيك ، الموافقة ، والتصويب ، ... إلخ " [29] .

هذا هو التصور العام الذي قدمه " أوستين Austin " للفعل الكلامي ، وبالرغم من العيوب والنقائص ، إلا أن " أوستين Austin " استطاع أن يحدد بعض المبادئ والمفاهيم المركزية لهذه النظرية ، ومن ذلك : " تمييزه بين محاولة أداء الفعل الإنجازي والنجاح في أداء هذا الفعل ، وتمييزه بين ما تعنيه الجملة وما قد يعنيه المتكلم بنطقها ، وتمييزه بين الصريح من الأفعال الأدائية والأولى منها ، فضلا عن تحديده للفعل الإنجازي الذي يعد مفهوما محوريا في هذه النظرية "[30].

4. نظرية الأفعال الكلامية عند أبو يعقوب السكاكي :

تندرج ظاهرة الأفعال الكلامية في التراث العربي ضمن مباحث علم المعاني ، وهذا ما أكده الكثير من الباحثين المحدثين ، أمثال مسعود صحراوي، حيث قال : "

تتدرج ظاهرة الأفعال الكلامية ضمن علم المعاني ، تحديدا ضمن الظاهرة الأسلوبية المعنونة ب: الخبر والإنشاء وما يتعلق بها من قضايا وفروع وتطبيقات ، ولذلك تعتبر نظرية الخبر والإنشاء عند العرب – من الجانب المعرفي العام – مكافئة لمفهوم الأفعال الكلامية "[31]، فاصطلحوا عليه " بالخبر والإنشاء "، وما سنركز عليه في مداخلتنا هذه على البلاغي أبي يعقوب السكاكي حيث يعرف علم المعاني من خلال كتابه "مفتاح العلوم " يقول:"اعلم أن علم المعاني هو تتبع خواص تراكيب الكلام في الإفادة ، وما يتصل بها من الاستحسان وغيره ، ليحترز بالوقوف عليها عن الخطأ في تطبيق الكلام على ما يقتضي الحال ذكره"[32].

ويشكل مفهوم الخبر والإنشاء في التراث العربي عامة سواء عند اللغويين أو البلاغيين أو الأصوليين ، بابا مهما يقف على قدم المساواة مع ما تعرضه نظرية أفعال الكلام لجون أوستين ، حيث أن الخبر هو ما قبل الحكم عليه بالصدق والكذب انطلاقا من مطابقته للواقع أو عدم مطابقته ، والإنشاء هو عكس الخبر وما يميزه أنه عند التلفظ به هو تحقيق له وإنجاز على أرض الواقع.

ولقد ميز أبي يعقوب السكاكي في كتابه " مفتاح العلوم " بين الخبر والإنشاء، إذ قال " أن الخبر هو الكلام المحتمل للصدق والكذب أو التصديق والتكذيب ، وأما الإنشاء(يسميه السكاكي الطلب) فلأن كل أحد يتمنى ويستفهم ويأمر، وينهي وينادي يوجد كلا من ذلك في موضع نفسه عن علم، وكل واحد من ذلك طلب مخصوص ،والعلم بالطلب المخصوص مسبوق بالعلم بنفس الطلب "[33].

إجمالا ، يمكن القول مما سبق أن معظم البلاغيين اتفقوا أن الكلام بصفة عامة صنفان إما أن يكون خبرا أو يكون إنشاء ، أما الخبر فمرتبط بصدق وكذب الكلام ، أما الإنشاء (الطلب) فكلام تام ومفيد وهو عكس الخبر ، فهناك اتفاق بينهم وبين أوستين حول ما قدمه في تمييزه بين الأفعال الوصفية (الخبرية) والأفعال الأدائية (

الإنجازية أو الإنشائية) ، وذلك في مدى مطابقتهما للخارج أو عكسه ، فيقول أحمد المتوكل في هذا السياق : " من المعلوم أن الفكر اللغوي العربي القديم يتضمن ثنائية (الخبر / الإنشاء) التي تشبه إلى حد بعيد الثنائية الأوستينية (الوصف / الإنجاز) كما يدل على ذلك تعريف القدماء للخبر والإنشاء "[34].

1.4. تقسيمات الخبر والإنشاء :

لقد قسم أبي يعقوب السكاكي علم المعاني إلى قانونين : قانون الخبر وقانون الطلب (الإنشاء) .

1.1.4. قانون الخبر :

لقد قسم أبي يعقوب السكاكي الخبر من خلال تطرقه إلى رواية أبي إسحاق الكندي مع أبي العباس المبرد ، ويتجلى ذلك من خلال هذا القول : " سأل الكندي المبرد، قائلا: إني أجد في كلام العرب حشوا يقولون: "عبد الله قائم" ، ثم يقولون: "إن عبد الله قائم" ثم يقولون "إن عبد الله لقائم" والمعنى واحد ، فأجابه المبرد : بأن المعاني مختلفة وذلك أن قولهم : "عبد الله قائم" ، إخبار عن قيامه وقولهم :"إن عبد الله قائم" ، جواب عن سؤال سائل ، وقولهم :"إن عبد الله لقائم"جواب عن إنكار منكر لقيامه " [35]، فسؤال الكندي وجواب المبرد يكشف لنا عن موقفين أحدهما لفيلسوف لا يرى في الكلام إلا معناه القضوي دون النظر إلى معناه الإنجازي الذي يراد به ، فهو لايرى في الأمثلة السابقة إلا نسبة القيام إلى زيد والقضية تقوم على هذه النسبة فلم يتجاوزها فكره ، أما المبرد فهو لغوي أديب ذو بصر حديد بأن المعنى الذي يقصده المتكلم يتخذ له من الوسائل اللغوية والمقامية ما يعين على إدراكه فقد أدرك أن قصد المتكلم مراعى فيه حال المخاطب ، فزيد قائم إخبار لأن المخاطب خالي الذهن عن الخبر ، وفي "إن زيدا قائم" نفي لشك المخاطب في الخبر ، وفي "إن زيدا لقائم" رد لإنكاره[36]. كما يوضح أحمد محمود نحلة أن " علماءنا كانوا على وعي بأن قصد

المتكلم الذي تعبر عنه هذه الأفعال هو الذي يحدد الطريقة التي يتحدث بها ، ويتغير تعبيره عنه قوة وضعفا بتغير الموقف الكلامي "[37].

2.1.4.أقسام الخبر :

من خلال رواية ابن الكندي قسم الخبر بحسب درجة قوة دلالاته إلى ثلاثة أقسام ، وهي : الخبر الابتدائي ، الخبر الطلبي ، الخبر الإنكاري .

1.2.1.4. الخبر الابتدائي: هو الخبر الذي يحتاج إلى تأكيد ويستغنى فيه عن مؤكدات الحكم لأن المتلقي يكون خالي الذهن تماما ويقول السكاكي في هذا النوع من الخبر :" فإذا اندفع في الكلام مخبرا، لزم أن يكون قصده في حكمه بالمسند للمسند إليه في خبره ذاك إفادته للمخاطب متعاطيا مناطها بقدر الافتقار فإذا ألقى الجملة الخبرية إلى من هو خالي الذهن عما يلقى إليه، ليحضر طرفها عنده وينتقش في ذهنه استناد أحدهما إلى الآخر ثبوتا أو انتفاء كفى في ذلك الانتقاش، حكمه ويتمكن لمصادفته إياه خاليا فتستغني الجملة عن مؤكدات الحكم ويسمى هذا النوع من الخبر ابتدائي"[38]. ومثال ذلك : قولك لشخص ما : محمد طالب مجتهد ، فأنت هنا بصدد إخباره باجتهاد محمد فالمستمع خالي الذهن تماما لا يعلم أن محمد طالب مجتهد .

2.2.1.4.الخبر الطلبي: ويقول السكاكي في هذا النوع من الخبر:" وإذا ألقاها إلى طالبها متحير طرفاها عنده دون الاستناد فهو منه بين ، لينقذه عن ورطة الحيرة استحسن تقوية المنقذ بإدخال " الام " في الجملة أو "إن"، كنحو : لزيد عارف ، إن زيدا عارف . وسمي هذا النوع من الخبر طلبيا "[39].إذا هذا النوع يحتاج إلى تأكيد من قائله بتوظيف أحد أدوات التأكيد مثل: "الام" أو "إن" حتى ينهي شك المتلقي وحيرته ومثال ذلك قولنا: إن محمد لطالب مجتهد ، وهذا يدل على تأكيد خبر اجتهاد محمد لمن يشك في ذلك .

3.2.1.4.الخبر الإنكاري: ويقول السكاكي في هذا النوع : " وإذا ألقاها إلى حاكم فيها بخلافه ، ليرده إلى حكم نفسه استوجب حكمه ، ليترجح تأكيدا بحسب ما أشرب المخالف الإنكار في اعتقاده " [40]، ومن أمثلة هذا النوع الآيات الكريمة من سورة " يس" ، وذلك في قوله تعالى : ((إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ فَقَالُوا إِنَّا إِلَيْكُم مُّرْسَلُونَ ، قَالُوا مَا أَنتُمْ إِلاَّ بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَمَا أَنزَلَ الرَّحْمَن مِن شَيْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلاَّ تَكْذِبُونَ ، قَالُوا رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّا إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ)).[41] فمن خلال هذه الآيات الكريمة نلاحظ أن في آخر الآية الإنكار والإصرار على التكذيب [42]، وهذا واضح في قول الله عز وجل : ((إِنَّا إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ)) . وهذا النوع يختلف عن الأنواع الأخرى وذلك في إنكار السامع للخبر أو المبالغة في إنكاره لذا يجب على المقام تأكيد الخبر وهذا بأدوات معينة يستعملها المتكلم أو المخبر بحسب درجة إنكار المتلقي ليقضي على شكه أو إنكاره للخبر تماما ، فمثلا لتأكيد اجتهاد محمد نقول أن : إن محمد لطالب مجتهد وهنا أكد الخبر"بلام التأكيد وإن" أما فيقولنا : والله إن محمد لطالب مجتهد باستخدام القسم بالله تعالى ، فهي الأقوى من حيث دلالتها لاستخدام لفظة القسم .

ومن خلال ما عرضناه حول قانون الخبر ، فنلاحظ أن أضرب الخبر تتدرج في المقابل عند جون أوستين ضمن صنف " الإخباريات Assertifs " ، ويتمثل غرضها المتضمن في القول في الإخبار ، فهما يتفقان حول نقل المتكلم وإخباره عما يحدث في الواقع ، فهي إذن تحمل الصدق والكذب .

2.1.4. قانون الطلب (الإنشاء) :

لقد اختلف العلماء قديما حول استعمال مصطلح الإنشاء حيث كانوا يسمونه بمصطلح آخر وهو الطلب وهذا ما نلمسه عند السكاكي من خلال كتابه " مفتاح العلوم" ، حيث ربط صحة الطلب بشرطين يتضحان في قوله : " أن لا ارتياب في

أن الطلب من غير تصور إجمالا أو تفصيلا لا يصح ، وأنه يستدعي مطلوبا لا محالة ، ويستدعي فيما هو مطلوبه أن لا يكون حاصلا وقت الطلب "[43]

ولقد قسم البلاغيين العرب الإنشاء (الطلب)، أو الأفعال الإنجازية حسب ما اصطلح عليه جون أوستين إلى نوعين طلبي وغير طلبي، وكل نوع ينقسم إلى فروع جزئية ، وأما عند السكاكي كان اهتمامه الأكبر بالقسم الأول من الإنشاء ألا وهو الطلبي ، حيث يقول عبد السلام هارون " أن البلاغيون لا يكادون يلقون بالا إلى القسم الثاني، لقلة المباحث المتعلقة به، ولأن أكثره في الأصل أخبار نقلت إلى معنى الإنشاء" [44]، ويقول مسعود صحراوي أيضا: " الإنشاء غير الطلبي ليس من مباحث علم المعاني ، وذلك لقلة الأغراض البلاغية التي تتعلق به من ناحية ، ولأن أكثر أنواعه في الأصل أخبار نقلت إلى معنى الإنشاء من ناحية أخرى " [45] فالسكاكي لم يشر إلى النوع الثاني من الإنشاء لذا عنون الشطر الثاني من علم المعاني بقانون الطلب وهذا ربما لكثرة وتعدد المعاني التي تندرج ضمنه باختلاف السياقات المتعددة مما يكسب الكلام جمالية أكثر .

لقد قسم السكاكي الأفعال الإنجازية إلى نوعين فيقول : "والطلب إذا تأملت نوعان : نوع لا يستدعي في مطلوبه إمكان الحصول ، وقولنا : لا يستدعي أن يمكن أعم من قولنا : يستدعي أن لا يمكن ، ونوع يستدعي فيه إمكان الحصول "[46] فيقصد بالأول التمني والثاني (الاستفهام والنهي والأمر والنداء) .

1.2.1.4.التمني : يندرج التمني عند السكاكي في النوع الأول أي لا يستدعي في مطلوبه إمكان الحصول فهو عنده " أن تطلب كون غير الواقع فيما مضى واقعا فيه مع حكم العقل بامتناعه "[47] فالمتكلم لا يتوقع حصول ما تمناه سواء في الوقت نفسه أو بعد لحظات فحصوله فتحقيقه مرتبط بالمستقبل ، كما أشار السكاكي فيما يخص أداة التمني في قوله : " اعلم أن الكلمة الموضوعة للتمني هي : ليت وحدها "[48].

2.2.1.4.الاستفهام : يتشكل الاستفهام عند السكاكي النوع الثاني من أنواع الطلب وهو ما يستدعي فيه إمكان الحصول، وقسمه إلى ثلاثة أقسام: "أحدهما يختص طلب حصول التصور، وثانيها يختص طلب حصول التصديق، وثالثها لا يختص"[49]، وأدوات الاستفهام عند السكاكي كثيرة عددها في كتابه مفتاح العلوم وبين كل أداة والقسم التي تنتمي إليه ، وسنحاول عرض أشهر أدوات الاستفهام الشائعة فقط :

*"**أين**": وهي تندرج في النوع الأول أي ما يختص بطلب حصول التصور وتتمثل في تعيين المكان ، لقول السكاكي " وأما (أين) فللسؤال عن المكان ، إذا قيل : أين زيد ؟ فجوابه : في الدار ، أو في المسجد "[50].

*"**هل**": تندرج ضمن النوع الثاني يقول : " و(هل) من النوع الثاني لا تطلب به إلا التصديق ، كقولك : هل حصل الانطلاق ؟ وهل زيد منطلق ؟ " [51] إذن فالأداة (هل) يطلب بها التصديق فقط .

*"**الهمزة**": ويرى السكاكي أنها تندرج ضمن النوع الثالث وهو مايطلب التصور والتصديق معا فيقول : " تقول في طلب التصديق بها : أحصل الانطلاق ؟ وأزيد منطلق ؟ ، وفي طلب التصور : أدبس في الإناء أم عسل ؟ " [52] فهنا عند نطقنا بالجملة نكون قد أنجزنا فعلا كلاميا غرضه الاستفهام .

3.2.1.4.الأمر: وهو طلب الفعل على وجه الاستعلاء والإلزام ، ويقصد بالاستعلاء أن ينظر الآمر لنفسه على أنه أعلى منزلة ممن يخاطبه أو يوجه الأمر إليه ، سواء أكان أعلى منزلة منه في الواقع أم لا [53]، ويعرفه السكاكي بأنه " طلب لحصول ثبوت متصور(...) وللأمر حرف واحد ، وهو اللام الجازم في قولك : ليفعل" [54] فالسكاكي يرى أن للأمر أداة واحدة ، فعند التلفظ بفعل الأمر " ليفعل " فهو يحمل في ذلك قوة إنجازية تؤدي إلى المتلقى بتنفيذ ما أمر به .

4.2.1.4.النهي : ويعرفه السكاكي بأنه: " كقولك في النهي للمتحرك : لا تتحرك فإنك تطلب بهذا الكلام انتفاء الحركة في الخارج (...) للنهي حرف واحد وهو (لا) الجازمة في قولك : لا تفعل ، والنهي محذو به حذو الأمر في أن أصل استعمال : لا تفعل أن يكون على سبيل الاستعلاء بالشرط المذكور ، فإن صادف ذلك ، أفاد الوجوب ، وإلا أفاد طلب الترك فحسب " [55]، فالتمني يكون غير حاصل وقت الطلب ويأتي بأداة النهي (لا) ويكون في الحاضر والمستقبل فقط .

5.2.1.4.النداء : "وهو طلب إقبال المدعو على الداعي بأحد حروف مخصوصة ينوب كل حرف منها مناب الفعل " أدعو " ، وأحرف النداء ثمان : "الهمزة" ، و"أي" ، و"يا" ، و"هيا" ، و"آ" ، و"آى" ، و"وا" ، وهذه الأدوات في الاستعمال نوعان : الهمزة وأي لنداء القريب و الأدوات الست الأخرى لنداء البعيد " [56]، كما يوضح السكاكي في قوله : " كقولك في الأمر : قم ، وفي النداء : يازيد ، فإنك تطلب بهذين الكلامين حصول قيام صاحبك وإقباله عليك في الخارج "[57].

وصفوة القول أن الأساليب الطلبية من : أمر ونهي واستفهام ، وتمن ، ونداء هي أفعال كلامية إنجازية وتشترك كلها في معنى الطلب على أن : " طلب تثبيت ما ليس ثابتا في اعتقاد المتكلم من علاقات رابطة بين طرفي الإسناد الذي يتعلق به عمل المتكلم . وهو طلب تحكمه إرادة المتكلم إنشاء أثر في الكون بواسطة اللغة وعن طريق مخاطب تشتد درجة التوتر بينه وبين المتكلم أو تضعف بحسب طبيعة الطلب ، وقوة الإرادة ، وبحسب المقامات والأحوال التي يتولد عنها الطلب " [58] . فهذه الأساليب تختلف باختلاف قوة التلفظ بها ومدى تأثير تلك القوة على السامع في تحقيقه للفعل الإنجازي .

5. خاتمة :

من خلال ما سبق تتضح لنا خلاصة عامة للبحث مفادها كالآتي :

* تعنى التداولية بالاستعمال اللغوي، بالعملية التواصلية مع مراعاة كل من المتكلم والسامع في آن واحد ، وكذلك الظروف المحيطة بهما أي بالعملية التواصلية

* إن نظرية الأفعال الكلامية من أهم الدراسات اللسانية التداولية تطرق لها العديد من الفلاسفة منهم جون أوستين ، فدرس اللغة وكل ما يحيط بها من ظواهر لغوية وصيغ كلامية كما ميز بين نوعين من الأقوال (إخبارية ، إنشائية) كما قسم الفعل الكلامي إلى فعل القول وفعل المتضمن في القول ، وفعل الناتج عن القول.

* تندرج ظاهرة الأفعال الكلامية في التراث البلاغي القديم ضمن مباحث علم المعاني، وهذا باتفاق العديد من الباحثين المحدثين أمثال مسعود صحراوي وتحديدا ضمن ظاهرة الخبر والإنشاء (الطلب) ، باعتبارهما مقابلا تداوليا صريحا للفعل الكلامي وهذا بموافقة العديد من الباحثين المعاصرين .

* اتفاق جون أوستين مع البلاغي أبي يعقوب السكاكي حول التمييز بين الخبر والإنشاء (الطلب كما اصطلح عليه السكاكي في كتابه مفتاح العلوم)، ويتمثل هذا الاتفاق بأن الخبر هو الكلام المحتمل للصدق والكذب ، أما الطلب فهو كلام تام ومفيد أي غير مرتبط بالصدق والكذب ، واصطلح عليه أوستين بالفعل الإنجازي أي إنجاز للفعل وإنشاء لحدث كما قسم السكاكي قانون الخبر إلى (ابتدائي وطلبي وإنكاري) فأعطى عناية خاصة لحال المخاطب أثناء إلقاء الخبر إليه .

* تندرج أضرب الخبر عند السكاكي ضمن مايسمى بالأفعال الإخبارية عند جون أوستين في تقسيمه للفعل الكلامي في المرحلة الأولى وغرضها المتضمن في القول هو الإخبار ، فهما يتفقان حول نقل المتكلم وإخباره عما يحدث في الواقع ، فهي إذن تحمل الصدق والكذب ، كما اهتم السكاكي بقانون الطلب (الإنشاء) ، وانصب اهتمامه أكثر بالإنشاء الطلبي لما يحمله من صيغ كثيرة (كالأمر والنهي والاستفهام والتمني والنداء) ، وإغفاله النوع الثاني أي الإنشاء غير الطلبي ربما لكثرة وتعدد

المعاني التي تندرج ضمنه باختلاف السياقات المتعددة مما يكسب الكلام جمالية أكثر ، ويندرج قانون الطلب (الإنشاء) ضمن باقي الأصناف التي اصطلح عليها أوستين وتتمثل في : (أفعال القرارات ، أفعال الإيضاح ، أفعال التعهد) .

* لم يغفل البلاغيون العرب قديما عن ظاهرة الأفعال الكلامية، والدليل على ذلك تواجدها في مختلف مؤلفاتهم باختلاف المصطلح، إلا أن علماء الغرب سباقين في التأسيس والتنظير لها كنظرية قائمة بحد ذاتها .

6. المراجع :

*القرآن الكريم .

[1]فيليب بلانشيه ، التداولية من أوستين إلى غوفمان ، دار الحوار للنشر والتوزيع ، ط01 ، سورية 2007 ، ص 18 .

[2] محمود أحمد نحلة ، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر ، دار المعرفة الجامعية ، دط ، الإسكندرية ، 2002 ، ص 14 .

[3]عبد الرحمان طه ، تجديد المنهج في تقويم التراث ، المركز الثقافي العربي للنشر ، ط 02 ، الدار البيضاء ، المغرب ، ، دت ، ص 244 .

[4] مسعود صحراوي ، التداولية عند العلماء العرب ، دار التنوير للنشر والتوزيع ، ط 01 ، الجزائر ، 2008 ، ص 08، 09 .

[5] جون لانكشو أوستين ، نظرية أفعال الكلام العامة ، ترجمة : عبد القادر قنيني ، أفريقيا الشرق ، ط02 ، المغرب ، 2008 ، ص 124 .

[6] محمود أحمد نحلة ، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر ، ص 43 .

[7] جون أوستين ، نظرية أفعال الكلام العامة ، ص 14 .

[8] محمود أحمد نحلة ، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر ، ص 17

[9] جون أوستين ، نظرية أفعال الكلام العامة ، ص 17 .

[10] ينظر: محمود أحمد نحلة ، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر ، ص 44 .

[11] ينظر المرجع نفسه ، ص 45 .

[12] طالب سيد هاشم الطبطبائي ، نظرية الأفعال الكلامية ، ص 08 .

[13] مسعود صحراوي ، التداولية عند العلماء العرب ، ص 56 .

[14] طالب سيد هاشم الطبطبائي ، نظرية الأفعال الكلامية ، ص 08 .

[15] المرجع نفسه ، الصفحة نفسها .

[16] مسعود صحراوي ، التداولية عند العلماء العرب ، ص 57 .

[17] جون أوستين ، نظرية أفعال الكلام العامة ، ص 131 .

[18] مسعود صحراوي ، التداولية عند العلماء العرب ، ص 57 .

[19] جون أوستين ، نظرية أفعال الكلام العامة ، ص 147 .

[20] محمود نحلة ، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر ، ص 69 .

[21] جون أوستين ، نظرية أفعال الكلام العامة ، ص 187 .

[22] فليب بلانشيه ،التداولية من أوستين إلى غوفمان ، ص62 .

[23] جون أوستين ، نظرية أفعال الكلام العامة ، ص 187 .

[24] صلاح إسماعيل عبد الحق ، التحليل اللغوي عند مدرسة أوكسفورد ، دار التنوير للطباعة والنشر ، ط01 ، لبنان ، 1993 ، ص 223 .

[25] جون أوستين ، نظرية أفعال الكلام العامة ، ص 187 .

[26] محمود أحمد نحلة ، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر ، ص 70 .

[27] طالب سيد هاشم الطبطبائي ، نظرية الأفعال الكلامية ، ص 10 .

[28] جون أوستين ، نظرية أفعال الكلام العامة ، ص 188 .

[29] أحمد محمود نحلة ، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر ، ص 70 .

[30] المرجع نفسه ، ص 71 .

[31] مسعود صحراوي ، التداولية عند العلماء العرب ، ص 74 .

[32] يوسف بن محمد أبو يعقوب السكاكي ، مفتاح العلوم ، دار الكتب العلمية ، ط01 ، بيروت ، لبنان ، 1987 ، ص 161.

[33] المصدر نفسه ، ص 165.

[34] خليفة بوجادي ، في اللسانيات التداولية بيت الحكمة للنشر والتوزيع ، ط01 ، الجزائر ، 2009 ، ص 201

[35] يوسف أبو يعقوب السكاكي ، مفتاح العلوم ، ص 209 .

[36] محمود أحمد نحلة ، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر ، ص 108 .

[37] المرجع نفسه ، ص 109 .

[38] يوسف أبو يعقوب السكاكي ، مفتاح العلوم ، ص 258

[39] المصدر نفسه ، الصفحة نفسها .

[40] المصدر نفسه ، الصفحة نفسها .

[41] ياسين ، الآية : 14 ، 15 ، 16 .

[42] ينظر : المصدر نفسه ، ص 259 .

[43] يوسف أبو يعقوب السكاكي ، مفتاح العلوم ، ص 414 .

[44]عبد السلام هارون ، الأساليب الإنشائية في النحو العربي ، الناشر مكتبة الخانجي، ط05 القاهرة ، 2001 ،ص 13 .

[45]عبد العزيز عتيق، علم المعاني ، دار الآفاق العربية، ط01 ، القاهرة ، 2006 ،ص57.

[46] يوسف أبو يعقوب السكاكي ، مفتاح العلوم ، ص 414 .

[47] المصدر نفسه ، ص 415

[48] المصدر نفسه ، ص 418 .

[49] المصدر نفسه ، ص 418 .

[50] المصدر نفسه ، ص 423 .

[51] المصدر نفسه ، ص 419 .

[52] المصدر نفسه ، الصفحة نفسها .

[53] عبد العزيز عتيق ، علم المعاني ، ص 58 .

[54] يوسف أبو يعقوب السكاكي ، مفتاح العلوم ، ص415 ، 428 .

[55] المصدر نفسه ، ص 415، 429 .

[56] عبد العزيز عتيق ، علم المعاني ، ص 91 .

[57] يوسف أبو يعقوب السكاكي ، مفتاح العلوم ، ص415 .

[58] خالد ميلاد ، الإنشاء في العربية ،المؤسسة العربية للتوزيع ،ط01 ، تونس ، 2001 ، ص 184 ، 185 .